مفهوم الاستقلال السّياسيّ

آليّاتُ إنجازِه في الأقطار الإسلاميّة

الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي

يتناولُ هذا البحث للشّيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي مفهومَ «الاستقلال السياسيّ»، وحداثتَه في مجتمعاتنا، ومن ثمّ في المعاجم اللّغويّة والعلميّة العربيّة، ويختمُ بالكلام على واقعه الرّاهن في بلداننا، والسُّبُل الكفيلة بتحقيقِه في الأقطار الإسلاميّة التي لم يتحقّق أو يكتمل فيها بأبعادِه كافّة.

كلمةُ «**استقلال**» بمعناها الشّائع والمتداوَل ترجمةٌ لكلمة «Independence» الإنجليزيّة، وهذه الأخيرة مأخوذة عن كلمة «dependace» اللّاتينيّة، وهي تعني «التّبعيّة» أو «التّعلُّق»، ثمّ دخلت عليها السّالبة «In» فصار معناها الحرفيّ، غيابهُما أو انتفاؤهما. وفي العلوم السياسيّة استُعير اللّفظُ، وقُرِن بكلمة «Political»، أي «**سياسيّ**»، ومن اجتماعِ اللّفظَين معاً تولَّدَ المعنى الذي نحن بصَددِه.

هذا، ويُستخدَم معنى «**الاستقلال السّياسيّ**» في الواقعَين التّاليَين:

١- تحرُّر البلاد المستعمَرة من نير الاستعمار، يُقال مثلاً: «هذه بلادٌ كانت مُستعمَرةً للإمبراطوريّة البريطانيّة، ثمّ تحرَّرت عنها ونالت استقلالَها».

٢- عدم خضوعُ البلاد لأيّ استعمارٍ على الإطلاق، يُقال: «إنّ هذه البلاد لم تخضَع في يومٍ من الأيّام لسلطة الاستعمار، فهي مستقلّة منذ القديم وحتّى الآن».

ولم يكن هذا المعنى معروفاً في مجتمعاتنا العربيّة، ولذلك لم يُدْرِجه علماء اللّغة، ولا أربابُ المعاجم العربيّة في الموسوعات التي دُوِّنت قبل عصرنا هذا، ذلك أنّ هذا المفهوم لكلمة «**استقلال**» لم يدخل حضارتَنا إلّا بعد سقوطِ الدّولة العثمانيّة، واستعمارِ أكثر البلدان العربيّة من قِبَل الدُّول الأوروبيّة، وسَعي الشّعوب العربيّة -من ثمّ- إلى التّخلُّص من سلطة الاستعمار الأوروبيّ.

في هذا الجوّ المُفعَم بالحوادث السّياسيّة، وما نتجَ عنها من هزّاتٍ عنيفة في واقع مجتمعاتنا، وترتّبَ عليها من اتّساعِ آفاق التّفكير، وبُعدِ النّظَر في حقيقة الصّراعات العسكريّة والسّياسيّة الدّائرة في البلاد العربيّة المُستعمَرة -في هذا الجوّ- استعارت حضارتُنا هذا المعنى السّياسيّ من أوروبا؛ من صحافتِها، ومن العلوم الإنسانيّة فيها، لا سيّما السّياسيّة منها.

وبعد أن انتَشر استعمالُ هذا المعنى الجديد في مجتمعاتنا، أَدرَجَه المُعجم العربيّ في قائمةِ معاني كلمة «**استقلال**»، كيف وشيوعُ الاستعمال رافدٌ مهمٌّ من روافد اللّغة، لا سيّما في عالمنا الحديث الذي تيسَّرت فيه المواصلات، ومن ثمَّ الاتّصالات الاجتماعيّة، وانتَشَر فيه التّواصل الإعلاميّ، وبسرعةٍ فائقة. وهذا يعني أنّ المعنى اللّغويّ الجديد لكلمة «**استقلال**» أُخذ من المصطلح العلميّ السّياسيّ، بعد أن شاعَ في الأوساط الاجتماعيّة العربيّة؛ الثّقافيّة منها وغير الثّقافيّة.

«الاستقلال» في معاجم اللّغة

في (لسان العرب) لابن منظور -وهو من المعاجم القديمة- يذكرُ لكلمة «استقلال» المعاني التّالية:

١- **استقلالُ الطّائر**، يُقال: استقلَّ الطّائرُ في طيرانِه: نهضَ للطّيران، وارتفعَ في الهواء.

٢- **استقلالُ النّبات**، يُقال: استقلَّ النّبات: أناف. [أي كان نباتُه سريعاً]

٣- **استقلالُ القَوْم**، يُقال: استقلّ القَوْم: ذهبوا، واحتملوا سائرين، وارتحلوا، قال الله عزَّ وجلَّ ﴿..حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا ..﴾ الأعراف:٥٧، أي حَمَلَت.

٤- **استقلالُ السَّماء**، يُقال: استقلّتِ السّماء: ارتفعتْ، وفي الحديث: «**حتّى تقالتِ الشّمس**»، أي استقلّت في السّماء، وارتفعت وتعالت.

وهذه المعاني الأربعة التي ذكرَها (لسان العرب) لكلمة «استقلال» ترجع إلى معنيَين، هما:

١- **الارتفاع**، ويصدقُ على استقلال الطّائر، واستقلال النّبات، واستقلال السّماء.

٢- **الارتحال**، وينطبقُ على استقلال القوم.

ولهذا، حَصَر المعجمُ الحديثُ دلالةَ الكلمة قديماً في هذَين

المعنيَين، وأضاف إليهما معنيَين جديدَين ممّا أفادته الحياةُ المعاصرة. جاء في (المعجم الوسيط) لـ «مجمع اللّغة العربيّة» بالقاهرة ما نصُّه: «**استقلّ**: ارتفع، يُقال: استقلّ الطّائرُ في طَيَرانه، واستقلّ النّبات، واستقلّت الشّمس. **واستقلّ القومُ**: مضوا وارتحلوا. **واستقلَّ فلانٌ**: انفردَ بتدبيرِ أمرِه، يُقال: استقلَّ بأَمرِه. **واستقلّت الدّولةُ**: استكمَلت سيادتَها، وانفردَتْ بإدارة شؤونِها الدّاخليّة والخارجيّة، لا تخضعُ في ذلك لرقابةِ دولةٍ أخرى..».

«الاستقلال» كمُصطَلح قانونيّ، واجتماعيّ، وسياسيّ

١- المعنى القانونيّ: «الاستقلال: هو وضعُ جماعةٍ غيرِ تابعةٍ لجماعةٍ أجنبيّة «..» وفي ما يتعلّق بدولةٍ ما، تُستعمل الكلمة كمرادفٍ للسّيادة، وحقّ الدّولة في أن تمارسَ بنفسِها مجموعَ صلاحيّاتِها الدّاخليّة والخارجيّة، من دون تبعيّةٍ لدولةٍ أخرى أو لسُلطةٍ دُوليّة، مع وجوب مراعاة القانون الدّوليّ واحترام التزاماتها بموجب الاتّفاقات المعقودة مع الدّوَل».

(معجم المصطلحات القانونيّة، ج. كورنو، ترجمة م. القاضي)

٢- المعنى الاجتماعيّ: «الاستقلال: حرّيّةُ الشّخص الطّبيعيّ أو الاعتياديّ من تدخُّل الغير في شؤونه الخاصّة، أو إشرافِه، أو نفوذِه المباشر أو غير المباشر».

(معجم مصطلحات العلوم الاجتماعيّة، بدوي)

٣- المعنى السياسيّ: «..ينطوي الاستقلالُ السّياسيّ على تمتُّعِ الدّولة بالسّيادة، أي ما لها من سلطانٍ تواجهُ به الأفرادَ داخلَ إقليمِها، وتواجهُ به الدُّولَ الأخرى في الخارج».

(مُعجم المصطلحات السّياسيّة والدّوليّة، بدوي)

وفي المجال التطبيقي، لا بدّ من الإشارة إلى واقع الوضع السّياسيّ لأنظمة الحُكم في ما نعرفه من بلدان، وهو وضعٌ يرتبطُ بوضع الاستعمار وانقسامه إلى استعمارٍ قديمٍ وآخَر جديد. ويُرادُ بالأوّل التّسلُّطَ المباشر، وهو يتحقّق عن طريق الغزو العسكريّ، وبالثّاني التسلُّطَ غير المباشر، وهو أحدُ أشكال السّيطرة الاستعماريّة التي لا تَعتمد التحكّمَ السّياسيّ المباشر، أو التّواجد العسكريّ الواضح، ولكنّه يقوم على السّيطرة الاقتصاديّة والاجتماعيّة.

على خطى الاستقلال الحقيقيّ

وعلى أساسٍ من هذا التّقسيم للاستعمار، ينقسم الاستقلالُ إلى قسمَين، ويُمكننا أن نطلقَ عليهما عنوان «**الاستقلال الحقيقيّ**» و«**الاستقلال الظاهريّ**».

وأريدُ من الاستقلال الحقيقيّ: التّحرُّرَ الكاملَ من الاستعمار بنوعَيه: المباشر وغير المباشر.

ومن الاستقلال الظّاهريّ: التّخلُّصَ من الاستعمار العسكريّ فقط، بأنْ تبقى البلادُ من جانبٍ آخَر راضخةً تحت نِير الاستعمار غير المباشر.

وفي هَدْيِ هذا، وفي ضوء تقسيم الاستقلال السياسيّ الذي ألمحتُ إليه في أوّل البحث، نستطيعُ أن نقسّم الدّول المعاصرة إلى الأقسام التّالية:

١- الدّولة المستقلّة منذ البدء، وهي تلك الدّولة التي لم تخضع من أوّل وجودها لأيّ استعمارٍ، وبقيت مستمرّةً على ذلك.

٢- الدّولة المستقلّة بعد الاستعمار، استقلالاً حقيقيّاً.

٣- الدّولة المستقلّة بعد الاستعمار استقلالاً ظاهريّاً، أي أنّ استقلالها استقلالٌ موهوم. وقد يُقال عن مثل هذه الدّولة: إنّها دولةٌ لا تمتلكُ الاستقلاليّة، لأنّها لا تزالُ تابعةً للغَير.

وهذا التّقسيم الثلاثيُّ ينطبقُ على جميع بلدان المسلمين المعاصرة.

وفي ضوئه: ما هو العمل من أجل مستَقبلٍ يكونُ فيه الاستقلالُ كاملاً لجميع بلدان المسلمين؟

١- لا بدّ -في البدء- من وضع دراساتٍ ميدانيّة لواقع أوضاع بلاد المسلمين من النّاحية السياسيّة.

٢- توعية المسلمين ليكونوا في حالة استعدادٍ دائمٍ للعملِ من أجل التّخلُّص من النُّفوذ الأجنبيّ.

٣- مساعدةُ البلدان الإسلاميّة غير المستقلّة استقلالاً كاملاً، بما يدفعُها إلى العمل على التّخلُّص من الاستعمار الذي تعاني منه.

٤- ابتداءُ العملِ باتّباع الوسائل والأساليب المدنيّة، ومن بعدُ لا مناصَّ من الجهاد.

٥- وفي الوقت نفسه: على البلدان الإسلاميّة المستقلّة استقلالاً كاملاً العملُ على رفع مستواها تقنيّاً، لتكون في مصافّ الدّول الأخرى المتقدّمة تكنولوجيّاً.

٦- الإكثار من إنشاء مراكزَ للبحث العلميّ، تعملُ على شرح العقيدة الإسلاميّة، كإيديولوجيّة للفكر والعمل الإسلاميَّين، وعلى استنباط وشرحِ التّشريعات الإسلاميّة لتنظيم الحياة، وترجمة ذلك إلى مختلف اللّغات الحيّة.

٧- القيام عن طريق مراكز البحث بدراساتٍ مقارنة بين التّشريع الإسلاميّ والتّشريعات الأخرى المعاصرة، لنصلَ عند ذلك إلى أن يسترجعَ الإسلامُ سيادتَهُ على العالم، من أجل تحقيق السّعادة والسّلامِ المنشودَين.

(مختصَر)

كتاب (العادات السّبع) لستيفن كوفي

التّنمية الذّاتيّة ظاهراً، «المُورمُونيّة» باطناً وهدفاً

بقلم: بيل غوردن

*** كتاب (العادات السّبع للأشخاص الأكثر فاعليّة) لـ «ستيفن كوفي» المُنتمي إلى طائفة «المورمون»، صدر منذ أكثر من عشرين عاماً، وما زال يُباع في الأسواق محقّقاً نسبة مبيعات قياسيّة، ويُعتمَد في برامج التّطوير الذّاتيّ.**

*** في هذا المقال يحذّر الباحث الكَنَسي بيل غوردن من الأهداف الخفيّة التي ألبَسها «كوفي» لباس الفعاليّة والتّطوير، إلّا أنَّ نظرة دقيقة في المحتوى تكشف عن مخطّط مسبَق لتعميم معتقداته «المورمونيّة» المدمِّرة.**

*** النّتيجة التي يخلص إليها الكاتب، أنَّ «ستيفن كوفي» مسيحيّ لكنّه ينتمي إلى طائفة هي «المورمونيّة».**

وبعد أن يوثّق «غوردن» لتبشير «كوفي» بأفكاره من خلال طروحاته الإداريّة، يقول:

«يجدر بالكنائس والمنظّمات الدّينيّة أن تُعيد النّظر بجدّية حيال اعتماد برامج تنمية قرَّرها شخص يؤمن بهذه المبادىء الخاطئة، وعليهم أن يقرِّروا إذا ما كان كوفي خبير تنمية ذاتيّة يجدر بالمسيحيّين أن يتَّبعوه».

كتاب (العادات السَّبع للأشخاص الأكثر فاعليّة) لستيفن كوفي يُعدُّ اليوم أحد أشهر برامج التّدريب على التّنمية الذّاتيّة، وهو يُعتمد مِن قِبَل كنائس كثيرة ومنظَّماتٍ دينيّة لأجل تدريب الكَهَنة والقادة. أحد الأسباب الّتي تجذب هؤلاء إلى اعتماد هذا البرنامج، هو أنَّه يمنح مساحةً رَحْبة للرّوحانيّة في عمليّة التّنمية الذّاتيّة. مع ذلك، فإنَّ معظم الّذين يخضعون لهذا التّدريب غافلون عن المعتقدات الدّينيّة المحدَّدة وراء كثيرٍ من نظريّات مؤلّفه «ستيفن كوفي».

بين (العادات السّبع) و(المركز الإلهيّ)

لقد أعرب ستيفن كوفي عن هذه المعتقدات الدّينيّة في كتابٍ سابق له عنوانه (المركز الإلهيّ)، وهذا الكتاب يتضمَّن كثيراً من النّظريات المُدْرَجة في كتاب (العادات السّبع)، شأنها شأنَ كثيرٍ من الحكايات والإيضاحات المُدْرَجة في الكتابَين معاً.

إنَّ تحليلاً لمضامين كتاب (المركز الإلهيّ) يكشف عن أنَّ معتقدات كوفي الدّينيّة هي عقيدة المورمون. يشرح كوفي في هذا الكتاب كيف أنَّه تعلَّم إيصال أفكار المورمون إلى غير المعتَقِدين بها، وذلك ببساطةٍ عن طريق اعتماد مفرداتٍ ومصطلحاتٍ مُغايِرة. يقول حرفيّاً في (ص ٢٤٠) من هذا الكتاب: «من خلال تحدُّثي إلى جماعاتٍ كثيرة في ثقافاتٍ مختلفة لا تعتنق عقيدة (كنيسة يسوع المسيح لقدِّيسي الأيّام الأخيرة) = LDS Groups – The Church of Jesus Christ of Latter-day Saints، اكتشفتُ أنّه بمقدورنا أن نعلِّم ونشهد لصالح كثيرٍ من مبادىء الإنجيل، شرطَ أن نكون حذرين في انتقاء الكلمات التي تحمل المعاني التي نريدها، وأن تكون نابعةً من تجارب [المتلقّين] ومن حالتهم النّفسيّة».

ويقول في كتابه (العادات السّبع، ص ٢٩٢) أنّه يجدِّد نشاطه الشّخصيّ عبر التّأمّل اليوميّ في النّصوص المقدّسة، يعني بها: «إنجيل يوحنّا، رسائل بولس وبطرس، كُتُب المورمون، التّعاليم والعهود». (المركز الإلهيّ، ص ٢٩٨)

ويقول حرفيّاً في (المركز الإلهيّ، ص١٩٧): «تَدرّبْ على امتلاك عادة قراءة الكتاب المقدّس بشكلٍ يوميٍّ، ربّما قبل أن تأوي إلى الفراش، لأنَّه خيرٌ لك أن تغفو وأنت تقرأ حكاية هيلامان* أو حكاية موروني* من أن تغفو وأنت تشاهد أحدث البرامج الحواريّة المتلفزة».

[*هيلامان: «نبيّ» من «أنبياء» جماعة (النيفايت) عاش في القرن الأول قبل الميلاد، هذا وفق عقيدة المورومون، وهذه الجماعة (النيفايت) نسبة إلى نيفي ابن ليهي «النّبيّ» الذي غادر القدس إلى أميركا ٦٠٠ سنة قبل الميلاد، *موروني هو آخر «أنبياء» النيفايت، وزعم مؤسّس المورمونيّة جوزيف سميث أنّ موروني ظهر له وأرشده إلى مكان كتاب المورمون المدوّن على ألواح]

يقول كوفي أيضاً إنَّ العادات السّبع تعود إلى «قوانين طبيعيّة مودعة في الإنسان، لها من الواقعيّة والثّبات والوضوح ما للقوانين الفيزيائيّة مثل الجاذبيّة». (العادات، ص ٣٢)

هذه «القوانين الطّبيعيّة» يشرحها كوفي في (المركز، ص ٢٤٦) ويبيّن أنّها ليست سوى تعاليم «كنيسة يسوع المسيح لقدّيسي الأيّام الأخيرة»، وهي التّعاليم التي «تُتيح للفرد أن يُنمّي شخصيّته ويطوّرها إلى أن يصبح على شاكلة أبيه الّذي في السّماوات».

على سبيل المثال، نكتشف في (المركز الإلهيّ) أنَّ كوفي اقتبس من تعاليم المورمون العادة الأولى الدّاعية إلى أن يكون الإنسان مبادِراً او استباقيّاً، عوَض أن يكون في موقع ردّ الفعل. (المركز، ص ١٧٦؛ العادات، ص ٧٠-٧٧)

مبدأ «الخارطة» الخطير

أولئك الذين قرأوا كتاب (العادات السّبع) يألفون مصطلح «الخريطة» للتّعبير عن «نموذجٍ للحياة». (العادات، ص ٢٩ -٣٥)

يقول كوفي: «كلّما كانت الخرائط والنّماذج مُنحازة إلى -أو مُتماهية مع- هذه المبادئ أو القوانين الطّبيعيّة، كلّما كانت أكثر فاعليّة ودقّة. الخارطة الصّحيحة تؤثّر بشكلٍ مطلَق في فاعليّتنا الشّخصيّة والذّاتيّة، أكثر بكثير من أيّ جهدٍ نبذلُه على صعيد تغيير أفكارنا وسلوكيّاتنا». (العادات، ص ٣٥)

في (المركز الإلهيّ) يحدّد كوفي الخارطة الصّحيحة وتلك الخطأ. الخارطة الصّحيحة هي تعاليم «كنيسة يسوع المسيح لقدّيسي الأيام الأخيرة»، والخارطة الخطأ هي الكنيسة الإنجيليّة التي تحدُّ من التّنمية الذّاتيّة لأتباعها. ويقول: «إنَّ العالم المتعصّب لا يفقهُ أفكارنا، مَرَدُّ ذلك إلى أنّه وَرث الخارطة الخطأ عبر قرونٍ من الرّدّة. هذه الخارطة تشوّه حقيقة معرفتنا بأنفسنا، وبحقيقة أبينا الّذي في السّماوات، وبيسوع المسيح والرُّوح القُدس، وهذه المعرفة المشوّهة تفرض «**محدوديّات**» هائلة على عقول المؤمنين بها. هذه المعرفة المشوَّهة تُكره عقولَ أتباعها على نقد واتّهام أولئك الّذين يحظون بعقولٍ مبرمجة بشكلٍ صحيح. إنّهم يرمون عقيدة (كنيسة يسوع المسيح لقدّيسي الأيّام الأخيرة) حول وجود إلهٍ مجسَّم بأنّها فكرة متجبِّرة، ووقحة، ونرجسيّة. إنَّ مفاهيمهم وعقائدهم تحدُّ بشكلٍ جذريّ من قابليّات الإنسان وقدراته الهائلة.

بالنّسبة إليهم، إنَّ القابليّة التي في ذواتنا ليست أن نصبح على شاكلة الرّبّ، وأن نحظى بالخلود (بمعنى أن نتخلّق بأخلاق الرّبّ ونصبح مثاليّين مثله) بل -وفق عقيدة أصحاب الخارطة الخطأ- إنَّ القابلية التي في ذواتنا هي أن نتحوَّل إلى روبوتات [رجل آليّ] تعبد الرّبّ دائماً وأبداً في أحضان بيئةٍ آمنة. هذه العقيدة تُقصي فكرة العائلة السّماوية المُشْرِفَة، وتقصي إمكانيّة أن نتشارك في إرث الرّبّ، وعليه تُقصي إمكانيّة أن نصبح مثلَه، أن يصبح الواحد منّا ربّاً، قادراً على النّموّ الأبديّ، وعلى التّكاثر الرُّوحيّ.

في المقابل، فإنَّ الخارطة الصّحيحة تعلّمنا ما قاله لورنزو سنو، [أحد زعماء كنيسة الأيام الأخيرة، مات سنة ١٩٠١م] في (ثنائيّته)، قال: الإنسان الآن هو كما كان الرّبُّ يوماً، وكما هو الرّبّ الآن باستطاعة الإنسان أن يكون». (المركز، ص ٨١)

وينتقد كوفي الطّوائف الإنجيليّة بسبب ترويجها للخارطة الخطأ، ويقول: «أولئك الّذين يلتزمون هذه الخارطة الخطأ أَعْمَتهُم براعةُ مَكْر البشر». (المركز، ص ١٦)

ويضيف: «لا عجب أنّ جوزيف سميث [مؤسّس المورمونية كما تعرف اليوم، ومدّعي النّبوّة. عاش في القرن التّاسع عشر، عُرف وأبوه بالخَلط والجنون، قُتل سنة ١٨٤٣م في معركة مع أهل بلدته بولاية فيرمونت الأميركيّة] قال بوحيٍ من الإلهام، إنَّ عقائد الآباء هي منبع كلّ الشّرور والفساد». (المركز، ص ١٧).

يعتقد كوفي أنَّ معتقدات الكنيسة التّقليديّة هي: «الخارطة الخطأ، في قالبٍ من العقائد والمبادىء»، ويستند إلى بعض كتابات جوزيف سميث ليبرهن أنَّ «معتقدات الكنائس الإنجيليّة تمثّل الوجه البغيض للرّبّ». (المركز، ص ١٥)

يقول جوزيف سميث في كتابه (التّاريخ: ج ١، ص ١٩) إنَّ الكنائس الثّلاث المشبوهة هي: المعمدانيّة، والميثوديّة، والمشيخيّة. بدوره، يؤكّد كوفي أنَّ رسالة هذه الكنائس هي خريطة غير دقيقة ومحرَّفة، ومثل هذه الخريطة المشوَّهة تتسبَّب في فهم كلّ شيءٍ بصورةٍ خاطئة؛ الرّب، الإنسان، علاقة الإنسان بالرّب، دور المسيح المخلِّص، غاية الحياة ومعناها، وبطبيعة الحال فإنّها تنتجُ فهماً مشوَّهاً لحقيقة الوصايا وللمعنى الحقيقيّ للطّاعة. (المركز، ص ٢٤٦)

أحد المفاهيم التي يعتقد كوفي أنَّ الكنيسة الإنجيليّة فَهمتْها بصورةٍ خاطئة، هو مفهوم التّثليث، ويصفُه بالعقيدة المرتدّة. يضيف أنَّ الفهم الإنجيليّ للتّثليث قاد النّاس ليعتقدوا بأنّنا مخلوقات الرّبّ، عوض أن نكون ذرّيّته بالمعنى الحَرْفيّ للكلمة. (المركز، ص ٨٢)

ويرى ستيفن كوفي أنَّ الخارطة الخطأ أصبحت متداولة نتيجة الرّدّة، وبقي الأمر كذلك حتّى القرن التّاسع عشر عندما استعاد جوزيف سميث الخارطة الصّحيحة. ويضيف أنَّ هذه الخارطة

الجديدة لا تضع قيوداً على تنمية القوى والقدرات البشريّة. (المركز، ص ١٤-١٧)

نظريّة الارتقاء إلى الأعلى، البشر آلهة

يدّعي كوفي أنّه وبمساعدةٍ من «الطّقوس الإنجيليّة لكنيسة يسوع المسيح لقدِّيسي الأيّام الأخيرة، فإنَّ بمقدور البشر تنمية قدرات وطاقات إلهيّة». (المركز، ٢٠٨-٢٠٩)

ويتحدّث في كتابه (العادات السّبع) عن الارتقاء إلى الأعلى، ويقول: «التّجديد هو المبدأ -والمَسار أيضاً- الذي يخوِّلنا أن نتقدَّم ونرتقيَ سلَّم النّموّ والتّغيير، والتّطوُّر المستديم». (العادات، ص ٣٠٤)

في (المركز الإلهيّ) يكشف عن مراده بـ«الارتقاء إلى الأعلى» وهو المبدأ المورموني «التّقدُّم الأبديّ» (المركز، ص ١٨٠ و٢٠٧ و٢١٣). ويدّعي بأنَّ هذا يعني «الارتقاء إلى الأعلى بصورة متواصلة في عمليّة التّنمية للرّوح البشريّة... تشكِّل الطّريق المؤدِّي إلى المثاليّة». (المركز، ص ٢٠٧)

يقول كوفي: «إنّه بإمكاننا أن نصبح بالمفهوم الحَرفيّ للكلمة مثاليّين مثل أبينا الّذي في السّماء، بإمكاننا أن نصل إلى الكمال تماماً كما هو الرّبّ، والأخ الأكبر يسوع المسيح».

ويقول إنَّ في ذواتنا «بذرة الألوهيّة الخالدة»، وإنَّ اتّباع الخارطة الصّحيحة الموجودة في «كنيسة قدِّيسي الأيّام الأخيرة» كفيلة «بتحرير البشر» و«إطلاق القابليّات المقدّسة والإلهيّة في ذواتهم».

عقيدة كوفي في حيازة البشر لقابليّات غير محدودة، منشأها العقيدة المورمونيّة القائلة بأنَّ الإنسان هو إله في مرحلته الجنينيّة. يقول: «بما أنّنا أبناء وبنات الرّبّ، الأب الأبديّ، فإنّنا نستطيع أن نَصِلَ إلى الكمال الذي وَصَل الرّبُّ إليه».

ويزعم كوفي: «أنَّ يسوع هو أوَّلُ مولودٍ روحيٍّ للرّبّ، ومولوده الوحيد من لحمٍ ودم، وهو يرينا أنّه بمقدورنا أن نحقِّق ذلك، طالما أنَّه حقَّقه بنفسه».

وبحسب كوفي، فإنّه يجب أن لا نُصاب بالإحباط، فإمكانيّة أن نصبح مثاليّين مثل الرّبّ قائمة، لأنّنا من نفس فصيلة يسوع والرّبّ، الأب الأبديّ.

كنيسة كوفي، والأنبياء الأحياء

يحذِّر كوفي قُرّاءَه من مغبّة تفسير الكتاب المقدَّس في سرّهم وبمفردهم، ويدعوهم إلى «البحث عن النّبيّ المعاصر، وقادة كنيسة قدّيسي الأيّام الأخيرة، وسياسات الكنيسة الرسميّة، لكي تتجلّى لهم إرادة الرّبّ وتتَّضح لهم معاني النّصوص». ويقول: «إنَّ كلمات الوحي للأنبياء الأحياء قد تكون أكثر أهمّيّة من كلمات الموتى من الأنبياء، كلمات الأنبياء الجُدُد يمكن أيضاً أن تكون كتاباً مقدّساً». (المركز، ص ١٩٩)

يعتقد كوفي أنَّ الذين يعارضون كنيسته إنّما يعارضون الرّبّ، وأنّهم مُسيَّرون مِن قِبَل رُوحٍ شيطانيّة. (المركز، ص ٢٥٥)

يقول: «إنَّ كنيسة قدِّيسي الأيّام الأخيرة هي حرفيّاً كنيسة الرّبّ، وأنَّ رئيسها هو بحقٍّ نبيّ الرَّبّ، وإنَّ إرادة الرّبّ تَحُول دون أن يقود النّبيّ المعاصر كنيستَه إلى ضلال». (المركز، ص ٢٢٤)

أضف إلى ذلك أنَّ عقيدة كوفي حول الخلاص هي «مورمونيّة» صرف. إنَّه يُحذِّر قرّاءه من البحث عن أيّ «علاقة خاصّة» مع يسوع المسيح. (المركز، ص ٦٧ -٦٨)، يقول: «إنَّ الإقتراب من المسيح بمفرده (مقاربة المسيح حصريّاً) هي عمليةٌ غير ملائمة بالنّسبة لكنيسة قدّيسي الأيّام الأخيرة». (المركز، ص ٨٣)

ويدّعي أنّ الحياة الأبديّة هي فقط من حقّ الّذين يَتَّبعون كتاب العقيدة. (المركز، ص ٢٩٤)، ويشدّد على أنَّ نعمة المسيح لا تكون ناجعة «إلّا من خلال التزامنا معايير الصّلاح المدرَجة في الكتاب المقدّس». (المركز، ص ١٥٨)

يصف كوفي في (المركز الإلهيّ) نظرة الكنيسة الإنجيليّة إلى فكرة الخلاص المبنيّة حصراً على الإنعام من قبل يسوع، بأنّها «مفهوم خاطىء» و«مبدأ ارتداديّ». ويزعم بأنَّ إحدى أكاذيب الشّيطان للبشر هي أنّ الله لا يريد منهم سوى أن يتلقُّوا المسيح بالقبول والإيمان. (المركز، ص ٢٧١)

خلاصة وتحذير

إنَّ عقائد كوفي مورمونيّة وليست مسيحيّة، ومن خلال دراسة لعقائده نكتشف أنَّ كثيراً من النّظريات في كتاب (العادات السّبع) قائمة على أساس هذه المعتقدات.

يجدر بالكنائس والمنظّمات الدّينيّة أن يعيدوا النّظر بجدّيّة حيال اعتماد برامج تنمية قرَّرها شخص يؤمن بهذه المبادىء الخاطئة. وعليهم أن يقرِّروا إذا ما كان ستيفن كوفي خبير تنمية ذاتيّة يجدر بالمسيحيّين أن يتّبعوه.

---

* ترجمة خاصّة بـ«شعائر»، رابط المقال باللّغة الانكليزية:
http://www.apologeticsindex.org/c13.html